﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الرّوم: 19]

## مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكْرُ بعضِ دلائل قدرةِ الله تعالى

لمّا ذُكِرَ في الآيات السّابقة أمرُ الإبداء والإعادة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [الروم: 11]، جاءت هذه الآية بذِكْر نموذجٍ يتحقَّق فيه أمرُ الإبداء والإعادة بالحيِّ والميِّت، ولمّا ذُكِر في الآيات السّابقة أوقاتُ النَّهار المختلفة كالصّباح والمساء، وكان الإنسان عند الصّباح يَخرُج من شبه الموت وهو النّوم، إلى شبه الوجود وهو اليقظة، وعند العشاء يخرج من اليقظة إلى النّوم، ذُكِرَ في هذه الآية أنّ إحياء الميّت عنده تعالى كتنبيه النّائم، وإماتة الحيّ كتنويم المنتبه[1].

## شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُخۡرِجُ﴾: (خرج) أصلٌ يَدُلُّ على النَّفاذ عن الشَّيْءِ، يُقالُ: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا[2]، ومنه الخُروجُ: اسمٌ من أسماء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ٤٢﴾ [ق: 42]، أي: يَوْم يُبْعَثونَ فيَخْرُجون من الأرْض[3]، والخُروجُ أيضًا: البُروزُ والظُّهورُ، ومنه سُمّي الخوارجُ بذلك؛ لِخُروجِهم على النّاس[4]، والإخراجُ: فصْلُ شيءٍ مَحْويٍّ عَنْ حاويه، يقالُ: أخرجَهُ مِنَ الدّارِ، وأخرج يَدَهُ من جَيْبِه، وهوَ في الآية مُستَعمَلٌ لإنشاءِ شيءٍ من شَيْءٍ، والمراد به: إنْشاءُ حَياةِ شَيْءٍ بَعْدَ مَوْتِه، ومعناه: كإخْراجِ النَّباتِ منَ الأرضِ بعد موته فيها، يكونُ إخراجُكُم من الأرضِ بعد أن كنتم أمواتًا فيها[5].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 89، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 22/ 99.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (خرج).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (خرج).
(4) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خرج).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 68.

2) ﴿ٱلۡحَيَّ﴾: (حيي) أصْلٌ يدلُّ على خِلافِ المَوتِ[1]، والحَيُّ مِنْ كُلِّ شَيءٍ: نَقيضُ المَيِّتِ، وحَيَّ، يَحْيا، فهو حَيٌّ، ومِنه الحَيَوانُ، وهو كُلُّ ذي روحٍ، ناطِقًا كان أو غَيرَ ناطِقٍ، والحيُّ مِن النَّباتِ: ما كانَ طَريًّا يَهتزُّ، وأرضٌ حَيَّةٌ، أيْ: مُخصِبَةٌ[2]، والحَيَوانُ: مقرُّ الحياة، والحَيَوان والحياة واحد، والحَيا: المطر؛ لأنَّه يحيي الأرضَ بعد موتها[3]، والمقصود بالحَيِّ في الآية: الَّذي ثبت له وصفُ الحياةِ، ويظهر معنى إخْراج الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ في أحوالٍ كثيرةٍ؛ منها: إنشاءُ الأجِنَّةِ مِنَ النُّطفِ، والإنسان مِنَ التراب، وغير ذلك كثير.

3) ﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾: (موت) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على ذَهابِ القوَّةِ مِنَ الشَّيءِ[4]، أي: القوَّة النّامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنّباتات، والمَيتُ بتَخفيفِ الياءِ وتَشديدِها: هو الذي فارَقَ الحَياةَ، ويَستَوي فيه الذَّكَرُ والأُنْثَى، يُقال: ماتَ، يَموتُ، مَوْتًا، فهو مَيِّتٌ، وجَمعُه: أمواتٌ، مَوْتَى، ومَيِّتون، ومَيْتون، ويُطلَق أيضًا على مَن في حُكْمِ الميِّتِ وليس به[5]، والمقصود بالميّت في الآية: من اتَّصف بالمَوتِ، أي: زالتْ عنه الحَياةُ، ويظهر إخراج المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ في أحوال عدّة، كالسّقط الميت من أُمٍّ على قيد الحياة، وإحياءِ الأرضِ بعد موتها.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

النَّظرُ في البعثِ وسيلةٌ إلى الاستِعدادِ له

هذه الآية تبيِّن أنَّ الله سبحانه وتعالى يُخرج بقدرته الحيَّ من الميّت، كالإنسان والحيوان من التراب مباشرةً أو عن طريق الأغذية، ويُخرج الميّت من الحيّ كالسّقط الميّت من المرأة، والبيضةِ العقيم مِنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حيَّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (حيي).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 36.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (موت).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيد، المحكم، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب: (موت).

الدّجاجة، ويحيي الأرض بالماء والنّبات بعد يُبسها وفقدان منفعتها، مثلُ ذلك الإخراج البديع تُخرَجون من قبوركم للحساب والجزاء، فكيف تُنكرون البعثَ وأنتم ترون آياتِه في الإحياء والإماتة؟! أليس في كلّ خَلَفٍ بعثٌ لسلفه الميّت؟[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### سرُّ فصل الآية عمّا قبلها:

موجِد المخلوقات مستحِقّ للتّسبيح والحمد

فُصِل قولُه تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ عن الكلام قبلَه؛ لوجود كمال الاتّصال بينهما، وهو اتّحاد الجملتين اتحادًا تامًّا، وامتزاجًا معنويًّا، بحيثُ تنزّل الثّانية منَ الأولى منزلةَ نفسِها[2]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ موقعَ العِلّة لجملة ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ وما عطف عليها، أي: هو مستحقّ للتّسبيح والحمد؛ لتصرُّفِه في المخلوقات بالإيجاد العجيب، وبالإحياء بعد الموت، فتحصّل من ذلك: أنّ الأمر بتسبيحه وحَمْدِه معلول بأمرين: إيفاءِ حقّ شُكره سبحانه، وإيفاءِ حَقّ التّعظيم والإجلال، أو تكون هذه الآيةُ بدلًا من جملة ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الرّوم: 11]؛ لاتِّحادِهما في المعنى[3].

### سرُّ اختيار تصرُّف الإحياء والإماتة:

إثبات البعث والنّشور بالقدرة على الإحياء والإماتة

أوثرَ اختيارُ تصرُّف الإحياء والإماتة في الحيوانات والنباتات من بين سائر التصرُّفات العظيمة للخالق سبحانه في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾؛ لأنّه تخلّصٌ للغرض المقصود من إثبات البعث، ورَدٌّ للكلام على ما تقدّم من قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 476، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 639، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 8/ 37.

(2) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 108.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 67.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [الرّوم: 11][1]؛ ولأنّ أمر الإحياء والإماتة لا يختصُّ به إلّا اللّهُ سبحانه وتعالى، وفي ذلك ردٌّ على المشركين الذين يعبدون الأصنام وتوبيخٌ لهم؛ لأنَّهم لا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ولأنَّ مشهد إخراج الحيِّ من الميِّت، والميِّتِ منَ الحيِّ فيه دعوةٌ قرآنيَّةٌ إلى تأمُّل آياتِ الخلّاق العظيم، ففي كلِّ نظرةٍ يُلقيها الإنسان على أيّ موقع من مواقع الحياة يرى حياةً تخرُج من موات، ومواتًا يخرج من حياة، الشّيءُ وضِدُّه يتبادلان موقفَهما، فالميِّتُ يأخذ مكانَ الحَيّ، والحَيُّ يَحِلُّ مكانَ الميِّت، حتّى لكأنّهما كائِنٌ واحدٌ لا فرقَ بينهما في حالَي الحياة والموت، وهذا من عجيب قدرة اللّه، وبَسْطِ سلطانِه على المخلوقات[2].

### نُكْتَةُ التّعبير بالفعل ﴿يُخۡرِجُ﴾:

عُبّر في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ بالفعل ﴿يُخۡرِجُ﴾، ومعنى الإخراج: فصْلُ شيءٍ محويٍّ عن حاويه، يُقال: أخرجه مِن الدّار، وأخرج يده من جَيبه، فهو هنا مستعمَلٌ لإنشاء شيءٍ مِن شيءٍ، والمرادُ به: إنشاءُ شيءٍ بعد موته، فهو سبحانه يُنشِئُ الحَيَّ من الميِّت، ويُخرِج الميِّت من الحيِّ ويفصله عنه، ومن ذلك: أنّ أصل (خرج) يُطلق على اختلاف لونين، فالخَرَج لونان من سوادٍ وبياضٍ، ويُفهم من هذا المعنى اختلافُ الضِّدَّين، أي: اجتماعهُما معًا في شيءٍ واحدٍ، وهذا واضحٌ في خروج الحيِّ من الميِّت، والميِّت من الحيِّ.

استحقاق الخالق الإفراد بالعبادة لقدرته على الإحياء والإماتة

### دلالة التّعبير بالجملة الفعليّة:

جيء في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ بجملة فعليّةٍ؛ للدّلالة على أنّ هذا الفعل يتجدّد ويتكرّر في كلِّ آنٍ، فهو مرادٌ معلومٌ، وليس على سبيل المصادفة والاتّفاق، كما أنّ الإتيان بصيغة المضارع

استحضار قوّة الله وقدرته وبقائه، فهو الحيُّ الذي لا يموت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 67.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 7/ 493.

فيه لاستحضار الحالة العجيبة وتصويرها في النّفوس، وإدخال المهابة عليها، إذِ الإخراجُ والإحياءُ آيةٌ عظيمةٌ دالّةٌ على استحقاق الخالقِ سبحانَه التّعظيمَ والإفرادَ بالعبادة[1].

**دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾:**

استغراق أفراد الأحياء والأموات

جاء لفظُ ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ معرّفين بـ(أل) الدّالّةِ على تعريف الجنس المقتضي للعموم، فيدخل في ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ كلُّ ما ينمو، كانَ ذا روحٍ أم لا، كالحيوانِ والنَّباتِ، ويشمل الميِّت كلّ ما لا ينمو مطلقًا.

**بلاغة التعبير بـ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾:**

عظمة الخالق في إخراج الحياة من الموت والعكس

يُستعمل وصفُ الحيّ والميّت في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، فالحقيقة: النُّطفة والمَنيُّ يخرج منه الإنسان، والبيضة يخرج منها الطّائر، وهذه بعينها ميتة تخرج من حيّ، وما جرى هذا المجرى، وبهذا المعنى فسّر أكثر السّلف كابن عبّاس وابن مسعود[2]، أمّا المجاز فهو إخراج النّبات الأخضر من الأرض، وإخراج الطَّعم من النّبات، وما جرى هذا المجرى، فتسميةُ النَّباتِ حيًّا عند بعض العلماء، مجازٌ بجامعِ قبولِ الزّيادةِ في كلٍّ[3].

**بلاغة الطِّباق بين ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾:**

الجمع بين الضِّدَّين دليلٌ على عَظَمة الرّبوبيَّة

يتضمّن قولُه تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ طباقًا بديعًا بين لفظتي ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾، وهو محسِّنٌ معنويٌّ يوضِّح كمالَ قدرته سبحانه، فبين تقابل الحياة والموت وتخالفِهما تضادٌّ، يُثير الذّهنَ ويجذبُ الانتباه، ويزيدُ الكلامَ حُسْنًا وطَرافةً، كما يقوّي المعنى،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 68.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 476.
(3) الصّاويّ، الحاشية على الجلالين: 03/ 203، والآلوسي، روح المعاني: 04/ 215.

إذ بضِدّها تتمايز الأشياء، وكلّ ذلك لزيادة التّعجيب من قدرة اللّه سبحانه، ويدلُّ هذا الطّباقُ على تمام إحاطة قدرةِ اللّه تعالى بالأفعال وأفضالها.

**بلاغةُ الوصل في قوله: ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾:**

كمالُ قُدرة الرّبّ سبحانه على الخَلقِ والإيجاد

وُصِل قولُه تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ بما قبله لنُكْتَة التّوسّط بينَ الكمالين، بمعنى التّوسّط بين حالَتَي كمالِ الانقطاع، وكمالِ الاتّصال[1]، فالجملتان مُتغايرتان من جهةٍ، إذِ الثّانية مُخبِرةٌ بضِدّ مضمون الجملة الأولى؛ وهما مُتلائمتان من جهةٍ أخرى، لأنّهما مُشيرتان إلى قُدرتِه تعالى على الخلقِ والإيجاد.

**بلاغةُ الاحتراس في الآية:**

إظهارُ القدرة الإلَهيَّة بالجمع بين الضِّدَّين

يرى بعضُ العلماءِ أنّ عطف ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ على قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ قد خرج مخرج الاحتراس، ومعناه دفعُ احتمالٍ يَرِدُ على المعنى[2]، باعتبار أنّ المقصود في السّياق هو إخراج الحيّ من الميّت، وقد أفاد العطفُ المنعَ من اقتصار قدرته على بعض التصرّفات دونَ غيرها، كما أبرز عجيبَ القدرةِ وكمالَها بأنّها تفعل الضدّين، وبذلك تظهر القدرةُ الإلَهيَّةُ تمامَ الظّهور[3].

**دلالة إعادة الفعل (يُخْرِج):**

استقلالُ كلٍّ من الفِعْلَين بحَدَثِه في جُملته

أُعيد الفعل (يُخْرِج) في قوله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ مع سبْقِ ذِكْرِه في قوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾؛ لأنّ إخراجَ الميّت من الحيّ يختلف عن إخراج الحيّ من الميّت، فهو غيرُ ما ذُكِر أوّلًا، وكلٌّ من الفِعلين مستقلٌّ بحدثه في جملته، فإخراج الحيّ من الميّت حدثٌ مستقلٌّ، وكذا إخراج الميت من الحيّ حدثٌ مستقلٌّ، فلذلك أُعيد الفعل[4].

(1) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 127.
(2) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة: 1/ 64.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 67.
(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 15/ 117.

### بلاغة العطف بـ(الواو) في ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾:

إحياء الأرض بالنّبات شبيهٌ بإخراج الأحياء من الأموات

عُطف قولُه تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ على ما قبله بحرف الواو الدّالَّة على الجمع والاقتران؛ لكونه دليلًا آخر على عظَمة الخالق ﷻ وقدرتِه الباهرة على الإحياء والإماتة، فإحياءُ الأرضِ المَوات بالمطر والنّبات شبيهٌ بإخراج الأحياء منَ الأموات[1].

### دلالة التّعبير بالإحياء في الآية:

وصف إخراج النّبات بالإحياء بجامع النّماء

عُبّر في قوله تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ بالفعل ﴿وَيُحۡيِ﴾ من الإحياء، والمقصود به إخراجُ النّبات الأخضر من الأرض، وإخراجُ الطَّعم من النّبات، وما جرى هذا المجرى، وتسميةُ النَّباتِ حيًّا عند بعض العلماء مجازٌ، بجامعِ قبولِ الزّيادةِ في كلٍّ[2].

### نُكْتَةُ المضارعِ في الفعل ﴿وَيُحۡيِ﴾:

استحضار الحالة العجيبة المتجدّدَة لآيات الله الباهرة

جاء الفعل ﴿وَيُحۡيِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ بصيغة المضارع؛ للدّلالة على أنّ هذا الفعل يتجدّد ويتكرّر في كُلِّ آنٍ، فهو مرادٌ معلومٌ، وليس على سبيل المصادفة والاتّفاق، كما أنّ الإتيان بصيغة المضارع فيه استحضارُ الحالة العجيبة وتصويرُها في النّفوس، وإدخالُ المهابة عليها، إذِ الإخراج والإحياء آيةٌ عظيمةٌ على استحقاق الخالِق سبحانه التّعظيمَ والإفراد بالعبادة[3].

### دلالةُ (أل) في ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾:

عموم الأرض الصّالحة للإنبات

جاء لفظ ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ معرَّفًا بـ(أل) الدّالَّة على الجنس، فإحياءُ الأرض المَوات بالغيث عامٌّ في كُلِّ أرضٍ، فالأرض بهذا المعنى اسمُ جنسٍ صادقٌ على شائعٍ مُتعدِّدٍ، وبهذا الإطلاق جُمعت على (أرَضين)، وقد يُقال: إنّ (أل)

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 100.
(2) الصّاوي، الحاشية على الجلالين، ص: 556، والآلوسي، روح المعاني: 04/ 215.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 68.

هنا دالّةٌ على تعريف العهد الذّهنيّ، ويُراد بها فردٌ مُبهَمٌ من أفراد الحقيقة، باعتبار عهديّته في الذّهن، لاشتمال الحقيقة عليه[1]، فالأرضُ التي تحيا بالمطر: هي الأرض المعهودة، التي لها أهليّة الإنبات دونَ غيرها من مجموع الأرَضين السّبع.

**دلالة تقييد إحياء الأرض بالظّرف ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾:**

صِحَّةُ وصفِ الجمادِ بالمَوْت بين الحقيقة والمجاز

وُصِفت الأرضُ بالموت في قوله تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾، فذهب جماعةٌ من أهل العلم إلى أنَّ إطلاق الموتِ على ما لم تَحُلَّه حياةٌ هو مِنْ باب المجازِ، فلا يصحُّ عِنْدَهُم وصفُ الجمادِ مثلًا بالموتِ حقيقةً، ونُكْتَةُ وصف الأرض بالموت: الاستدلالُ على البعث[2]، وقالت طائفةٌ أخرى من العلماء: إنَّ ذلك ليس من بابِ المجازِ بل هو حقيقةٌ، فالعرب تصف الجمادَ بالموتِ، وبذلك جاء القرآن الكريمُ، كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾ [النّحل: 20-21]، "فهذا في الأصنام، وهي مِنَ الجمادات، وقد وُصِفَتْ بالموت"[3]، فالموت: عدمُ الحياة مُطلقًا، لا عدَمُها عمّا هي مِنْ شأنه[4].

**بلاغةُ الطِّباق بين ﴿وَيُحۡيِ﴾ و﴿مَوۡتِهَاۚ﴾:**

توضيح المعنى وجَذْبُ الانتباه بالجمع بين الضِّدّين

يتضمّن قولُه تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ طباقًا بديعًا بين لفظتَي ﴿وَيُحۡيِ﴾ و﴿مَوۡتِهَاۚ﴾، وهو محسِّنٌ معنويٌّ يوضّح كمالَ قدرتِه سبحانه، فبين تقابل الحياة والموت وتخالفهما تضادٌّ يُثير الذّهنَ ويجذب الانتباه، ويزيدُ الكلام حُسْنًا وطَرافةً، كما يقوّي المعنى، إذ بضدّها تتمايز الأشياء، وكلُّ ذلك لزيادة التّعجيب من قدرة الله سبحانه.

(1) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح: 2/ 21.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/ 214.
(3) ابن تيميَّة، التَّدمريَّة، ص: 160، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/ 186.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 2/ 108.

### دلالة نسبة الإحياء لله دون الموت:

التّأدّب في خطاب اللهِ ﷻ

يُلحَظ في قوله تعالى: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ إسنادُ الإحياء إليه تعالى بقوله: ﴿وَيُحۡيِ﴾، وإضافةُ الموت إلى الأرض بقوله: ﴿مَوۡتِهَاۚ﴾، مع كونه الفاعلَ لهما سبحانه، والنُّكتةُ في ذلك: أنّ الحياة أشرفُ من الموت، فنُسب الإحياء لله ﷻ، ولم يُنسَب الموتُ إليه مباشرةً تنزيهًا لله تعالى عن نسبة أدنى شبهة شرٍّ إليه، وفي هذا تأديبٌ للعباد في مخاطبته بنسبة الخير دون الشرّ إليه؛ لقوله ﷺ: «الْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ»[1]، معَ اعتقاد أنّ الكلّ فعلُه، وتنبيهًا على أنّ الشّرّ ممّا ينبغي التّبرّؤ منه، والبُعد عنه[2].

### دلالة (الواو) في ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾:

الاستدلال على البعث بإحياء الأرض

دلّت الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ على العطف والجمع؛ لترتيب النّتيجة على مقدّماتها، ورَبطِ التّشبيه بالمُشبَّه به؛ فإنّ معجزة إخراجِ الحيّ من الميّت، وإحياءِ الأرض بعد موتها، وإن كانت آية عظيمةً بنفسها، ودلالةً وافيةً على قدرة الله وتدبيره، إلّا أنّها سيقت هنا أساسًا لبرهنتها على البعث والنّشور، ولمّا كان المقامُ مقامَ احتجاجٍ واستدلالٍ، ومخاطبةِ المُنكِر الجاحِد، ناسبَ التّصريحُ بوجه الدّلالة وصورة التّشبيه، وعدمُ الاكتفاء بالمقدّمات، ولهذا عُطف قولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ على ما سبق.

### دلالة (كذلك):

عظمة قدرة الخالق سبحانه في إخراج الموتى

دلّ حرف (الكاف) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ على التّشبيه، وقد دخل على حرف الإشارة المستعمل للبعيد (ذلك)؛ للدّلالة على البُعد المعنويّ، وعظمةِ المُشار إليه، بمعنى: أنّ مثل فعلِه سبحانه من الإخراج بديعِ الشّأن للحيّ من الميّت والميّت من الحيّ،

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (771).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 482.

ومثلَ إحياءِ الأرض بعد موتها، بإخراج نباتها وزرعها، يحييكمُ اللّهُ من بعد مماتكم، فيخرجُكم أحياءً من قبوركم إلى موقف الحساب[1].

**دلالة الفعل ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:**

الوعد بالإخراج من القبور للبعث والنّشور

عُبّر في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ بفعل الإخراج، ومعنى الإخراج: فصلُ شيءٍ محويٍّ عن حاويه، يُقال: أخرجه من الدّار، وأخرج يده من جيبه، والمقصود هنا: إخراج الموتى من قبورهم للحساب والجزاء على الأعمال، وقد جاء بصيغة المضارع؛ للدّلالة على الاستقبال، إذ محلُّه يومَ القيامة، وهو اليوم الموعود للخلائق.

**دلالة صَوغ الفعل ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مبنيًّا للمفعول:**

الاقتصارُ على فعل خروج النّاس من قبورهم لأهمّيّته

أوثرَ استعمالُ الفعل ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مبنيًّا لِما لم يُسمَّ فاعلُه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾؛ للاهتمام بفعل الإخراج في حدّ ذاته لكونه المقصودَ من الكلام، دونَ التّعرّض لفاعله، فالغرضُ العامّ من ذِكْرِ الفعل مجرّدًا الاقتصارُ على إثبات معنى الفعل؛ لإفادة الوجود المجرّد في الشّيء دونَ التّعرّض للمعمول[2]، ومعلومٌ أنّه إذا كان الكلام منصبًّا على غرضٍ من الأغراض جُعل سياقُه له وتوجُّهه إليه، كأنّ ما سواه مرفوضٌ مُطَّرَحٌ[3]، إضافةً إلى جواز عدم التّصريح بما هو معلومٌ من السّياق، إذ لا مُخرِج للنّاس من قبورهم إلّا خالقُهم سبحانه.

**بلاغة التّشبيه في الآية:**

بيانُ إمكان البعث بتشبيه الإعادة بالإبداء

تتجلّى بلاغةُ التّشبيه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ في كونه راجعًا إلى ما يصلح له من المذكور قبلَه، وهو ما فيه إنشاءُ حياةِ شيءٍ بعدَ موته، ويجوز أن يكون التّشبيهُ راجعًا إلى أقرب مذكورٍ، وهو إحياءُ الأرض بعد موتها، أي: وكإخراج النّبات منَ الأرض بعد

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 476.
(2) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 153.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.

موته فيها، يكون إخراجُكم من الأرض بعد أن كنتم أمواتًا فيها، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾ [نوح: 17 - 18]، والقصد من هذا التّشبيه: بيانُ إمكانِ وقوع البعث، وأنّ الإبداء والإعادة متساويان، فليس البعثُ بعد الموت بأعجب منِ ابتداء الخَلْق، فكما سَهُل عليه سبحانه حركةُ النّائم السّاكن بالانتباه، وإنماءُ الأرض بإنباتها بعد موتها، يسهل عليه إحياء الميّت وإخراجُه من قبره لفَصْل القضاء[1].

### تعدّد القراءات في ﴿تُخۡرَجُونَ﴾، وأثرُه في تنوّع الدّلالات:

تكامل صورة الإخراج للبشر

تعدّدتِ القراءةُ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾، فقرأ الجمهور: ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ بضمّ التّاء الفوقيّة، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخَلَف وابنُ ذكوان بخُلْفٍ عنه بفتح التاء وضم الراء: ﴿تَخۡرُجُونَ﴾[2]، فعلى قراءة الجمهور يكون فِعلًا لِما لم يُسَمَّ فاعلُه، بمعنى: أنّ الله يُخرجهم من قبورهم، ونظيرُه إجماعُ الجميع على قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون: 16] على أنّهم مفعولون ولم يُسمّ الفاعل، وأمّا على قراءة حمزة والكسائيّ وخَلَف وابن ذكوان - بخلف عنه - ﴿وَكَذَٰلِكَ تَخۡرُجُونَ﴾ فقد جُعل الفعلُ لهم؛ لأنّ الله جلّ وعزّ إذا بعثهم يوم القيامة فأحياهم وأخرجهم خرجوا، كما تقول: (مات فلانٌ) فتَنسِبُ الفعلَ إليه، وإنمّا أماته اللهُ، ونظيره قوله: ﴿فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف: 25] على تصيير الفعل لهم، فكذلك أيضًا: (وكذلك تَخرُجون)، والقراءتان تتداخلان، لأنّ الله إذ أخرجهم خرجوا، وإذا خرجوا فبإخراج الله خرجوا، فهم فاعلون مفعولون[3].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 36، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 68.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 267، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 69.
(3) ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص: 280، وابن خالويه، الحجّة، ص: 154.

## سرُّ عدم تحديد المخاطَب في الآية:

تذكيرُ المؤمنين والتّعريضُ بالمشركين

لم يُحدَّد المخاطَب في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾؛ لتعدُّد المراد به، فيحتمل أن يكون الخطاب تابعًا للّذي قبلَه في قوله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾، وبذلك يكون موجَّهًا إلى المشركين على طريقة الالتفات من ضمائر الغَيبة المبتدئة من قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرّوم: 8] إلى آخرها، وقد يكون الخطاب موجَّهًا إلى المؤمنين على سبيل التّعريض بالرّدّ على المشركين المُنكرين للبعث[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 67.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»